Scanned by CamScanner

المبحث الثاني

معلومات المحقق

لا يستطيع المحقق أن يؤدي واجبه على الوجه الأكمل ما لم يكن ملمًّا بالعلوم والفنون التي لها صلة وثقية بالتحقيق الجنائى إذ تساعده كثير في التوصل إلى معرفة الحقيقة، وسنشرح أهم هذه المعلومات تباعًا:

١ ـ معرفة القوانين:

إن أول شيء يجب على المحقق أن يكون ملمًّا به هو معرفته بالقوانين وخاصة الجنائية منها؛ لأنها تساعده على التفرقة بين الأفعال التي تكون جريمة (المحظورة) والأفعال التي لا تدخل في نطاق الجرائم (المباحة)، هذا وإن معرفته بالقوانين الجنائية تمكنه من اتباع الطريقة التي يجب أن يسلكها منذ وصول خبر وقوع الجريمة إليه إلى حين ارتباطها بحكم واكتساب هذا الحكم الدرجة القطعية.

٢ ـ الطب العدلي «الشرعي»:

إن معرفة القوانين الجنائية لوحدها غير كافية لكي ينجح المحقق في وظيفته الدقيقة، بل يجب أن يكون عنده معلومات عامة في الطب الشرعي الذي يبحث في الموت وعلاماته وأسبابه والتغيرات التي تطرأ على الجثة بعد الوفاة والجروح وأنواعها والأدوات المستعملة في إحداثها والسموم وتأثيرها وما شابه ذلك من الموضوعات التي يجب على المحقق معرفتها حتى تمكنه من تحديد المهمة التي يعهد بها إلى الطبيب العدلي وتسهل عليه أيضًا فهم التقارير الطبية الواردة من الخبير، إذ أن هذه التقارير كثيرًا ما تحتوي على بعض الاصطلاحات الفنية التي يتعذر على الشخص فهم معانيها ما لم يكن عنده بعض الإلمام بمبادئ الطب الشرعي على الأقل، هذا وإن إحاطته العامة

Scanned by CamScanner

بهذا العلم تمكنه من مناقشة الطبيب العدلي حول بعض النقاط التي جاءت في تقريره، خاصة إذا عرفنا بأن المسؤولية في أحيان كثيرة تقوم بالاستناد على هذه التقارير.

٣ ـ أسلوب الإجرام:

من الحقائق الثابتة في علم النفس أن تكرار أي عمل يكون عادة لدى صاحبه كما أن كل خطة مبنية على نفس الأسس التي يتبعها الإنسان في أعماله لا بد أن تجعل صاحبها خبيرًا بذلك العمل، كذلك نجد المجرم يختار لأعماله الإجرامية طريقة خاصة تلائم خبرته السابقة فيستمر على تلك الطريقة في سبيل تحقيق غايته، ولذلك نجد بأن المجرمين قد انقسموا إلى طوائف لكل طائفة اختصاص في نوع معين من الجرائم، كالسرقات والاحتيال والتزوير والقتل لقاء مقابل... إلخ.

إن الأسلوب الذي يتبعه المجرم في تنفيذه للجريمة التي اختص بها لا يغيره مطلقًا إلا إذا ألجأته الضرورة لذلك، والتجارب تعلمنا أيضًا بأن الآلات التي يستخدمها المجرم في تنفيذه لجريمته قلما يغيرها أيضًا.

لهذا كله وجب على المحقق معرفة أساليب الإجرام وطرقه الفنية والحيل التي يلجأ إليها المجرمون في إبعاد الشبهة عنهم وإلا فإنه سوف يفشل في عمله لا محالة إن ترك الأمور للظروف والمصادفات إن شاءت أحسنت إليه وإن شاءت أساءت.

٤ ـ علم النفس الجنائي:

من المعلوم أن علم النفس الجنائي هو ذلك العلم الذي يدرس السلوك الإجرامي ودوافعه الشعورية واللاشعورية. إن دراسة هذا العلم لها أهميتها بالنسبة للمحقق تجعله يكسب الخبرة والمهارة التي لا بد منها لمزاولة عمله على الوجه الأكمل.

لا يمكن للمحقق أن ينجح في التحقيق ما لم يكون صورة عامة عن سمات شخصية المتهم وسلوكه المميز، ولا يكون ذلك إلا عن طريق دراسة تاريخ حياة المتهم

Scanned by CamScanner

وحالته النفسية والعقلية وميوله وقيمه وعلاقته بالجنس الآخر ونوع أصدقائه، إن جمع هذه المعلومات وغيرها التي يحصل عليها المحقق عن طريق المشاهدة أو التجربة أو التحليل سوف تلقي بعض الضوء على صلة المتهم بالجريمة موضوع التحقيق.

٥ ـ الإسعافات الأولية:

قلنا في مناسبة سابقة بأن على المحقق أن يهرع إلى محل ارتكاب الجريمة حال وصوله الاخبار عنها ، وكثيرًا ما يكون المحقق هو أول شخص يصل إلى محل ارتكاب الجريمة التي قد يكون فيها ممن تعرض لإصابات معينة، ولذلك فإن معرفة المحقق كيفية إجراء الإسعافات الأولية تساعده كثيرًا في إنقاذ حياة المصابين والعمل على تخفيف آلامهم، وعلاوة على الناحية الإنسانية فإن القيام بالإسعاف اللازم فيه فائدة للتحقيق إذ يمكن أن يحصل من المصابين على معلومات عن الجريمة وكيفية وقوعها والشخص الذي ارتكبها وأن هذه المعلومات لا شك هي الغاية من كل تحقيق.

٦ ـ الثقافة العامة:

لكي ينجح المحقق في وظيفته وجب أن يكون متسلحًا بثقافة عامة يكتسبها عن طريق القراءة في الكتب والمجلات العلمية وخاصة تلك التي لها علاقة بوظيفته كعلم الإجرام الذي يبحث في الأسباب المؤدية لارتكاب الجريمة، بنوعيها الاجتماعية والفردية، وعلم الاجتماع الجنائي الذي يدرس الجريمة كظاهرة اجتماعية باحثًا في أسبابها وغيرها من العلوم كعلم الفراسة واقتفاء الأثر... إلخ.

٧ ـ اللغات الأجنبية واللهجات المحلية

إن المحقق بحكم وظيفته يحتاج إلى التفاهم مع المجني عليه والشاهد، فإذا كان أحد هؤلاء أجنبيًا وجب عليه أن يتفاهم معه في لغته الأصلية أو على الأقل أن يتقن اللغات الأجنبية الشائعة كالإنكليزية والفرنسية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن إتقانه للغة أجنبية سوف يساعده على المطالعة في الكتب التي تصدر بتلك اللغات وهذا

Scanned by CamScanner

بدون شك سوف يؤدي إلى زيادة معلوماته وبالتالي نجاحه في مهمته الشاقة. على المحقق العراقي أن يتقن علاوة على اللغة العربية اللغة الكردية والتركية والفارسية.

٨ ـ معلومات متنوعة:

هناك أمور أخرى على المحقق أن يتقنها؛ لأنها تساعده كثيرًا في أداء وظيفته وذلك كاستعمال الأسلحة النارية والسباحة وقيادة السيارات وكل ما من شأنه أن يسهل مهمته.

Scanned by CamScanner

المبحث الثالث

شخصية المحقق

أثر العوامل النفسية على شخصية المحقق:

يجب أن ينظر إلى الشخصية الإنسانية ككل، إذ أن تكوينها يأتي نتيجة تداخل جميع العوامل المكونة للإنسان من عضوية وغريزية ونفسية، فكل جانب من تلك الجوانب يؤثر ويتأثير بالجوانب الأخرى وتعمل كلها في تكوين الشخصية والتأثير في استجابة الشخص للعوامل أو المؤثرات الخارجية. ويجب كذلك عدم إهمال تأثير البيئة على التكوين النفسي وعلى الشخصية ، فعلى ضوء الظروف الخارجية، والعوامل البيئية المختلفة يحاول الشخص تكييف طباعه وصفاته بطريقة تتجاوب مع البيئة المحيطة به ومن هنا تأتي ظاهرة تجاوب الشخص مع المجتمع الذي يعيش فيه [1].

المحقق باعتباره إنسانًا قد يصيب وقد يخطئ عند القيام بإجراءاته التحقيقية ويعود خطؤه إلى عوامل مختلفة أهمها العوامل النفسية، فإذا لم يفطن لهذه العوامل فإنها قد تبعده عن الطريق المؤدي إلى الحقيقة، وسنستعرض أهم هذه العوامل تباعًا.

١ ـ التأثر بالرأي العام:

إن المحقق فرد يعيش ضمن جماعة معينة فهو بدون شك يشعر بشعورها ويتأثر بالآراء والأفكار التي تسود فيها . فهو يسمع تعليقات الناس ـ ومنها الكذب والاختلاق ـ في بيته وفي ناديه وفي الطريق وعن طريق قراءة الصحف وقد يصيب المحقق من ذلك إيحاءات خطيرة تؤثر بطريقة أو بأخرى على سير التحقيق وتحرفه عن جادة الصواب[2].

---

(١) انظر مأمون سلامة، أصول علم الإجرام ١٩٦٧، دار النهضة العربية القاهرة، ص ٢١٢.

(٢) انظر أحمد محمد خليفة، علم النفس الجنائي والقضائي، بغداد، ١٩٤٩ ص ٨٧.

Scanned by CamScanner

٢ ـ تكوين الفكرة السابقة لأوانها:

يحدث كثيرًا أن تستولي على المحقق فكرة ما قبل جمع الأدلة ومشاهدة البراهين فيبدأ بتفسير كل ما يراه تفسيرًا ينطبق على ما تسلط عليه مقدمًا، ولا نعني هنا بأن المحقق يعمل على تحوير الحقائق قاصدًا ذلك وشاعرًا به، بل هو في إيمانه بفكرته التي أخذ بها، يجد أن من حقه أن يضيف بعض التعديلات أو يفسر بعض الوقائع والأقوال بحيث تؤيد فكرته وتنسجم معها .وقد يصل به تحمسه في بعض الأحيان حد توجيه الشهود ودفعهم في طريق فكرته، وتكذيب المتهم في كل ما يدلي به مخالفًا لهذه الفكرة - وهكذا ينتهي به الأمر لأفظع الأخطاء، وبذلك تشوه معالم الحقيقة [١].

إن خير طريقة لضمان الوصول إلى الحقيقة هي ألا يبدأ المحقق بتكوين فكرة ما حتى يباشر التحقيق بنفسه ويجمع الأدلة اللازمة، فهو يبدأ بالمعلوم أولاً ويسير خطوة خطوة حتى يصل إلى معرفة المجهول وحينذاك فقط يمكنه تكوين فكرة صائبة عن ظروف الحادثة التي يحقق فيها [٢].

٣ ـ الإيحاء التوقعي:

يلعب الإيحاء التوقعي دورًا مهمًّا في تشويه مدركات المحقق وإبعاده عن الواقع فعندما يبدأ بالتحقيق في قضية ما، فإنه في أحيان كثيرة يتأثر لا شعوريًّا بالقضية التي قبلها والتي سبق أن حقق فيها خاصة إذا كانت تتشابه معها من حيث هيكلها العام وخطوطها العريضة رغم اختلافها معها بالتفاصيل.فنجده يتوقع أن الباعث على الجريمة الحديثة هو نفس الباعث بالنسبة للجريمة السابقة ويأخذ بعد ذلك بتكملة التفاصيل الجزئية من عنده مستندًا في ذلك إلى خبرته السابقة بصورة لا شعورية...

---

(١) انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص ٨٨

(٢) انظر كامل أحمد ثابت، علم النفس القضائي، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٢٧ ص ٤٩.

Scanned by CamScanner

وهكذا يوجه التحقيق وجهة غير صحيحة بتأثير تلك الإيحاءات التي تكون في معظم الأحيان سببًا في ضياع معالم الجريمة.

إن المؤثرات الإيحائية لا تظهر في القضايا الواضحة، حيث تكون الأدلة ظاهرة فيها ابتداءًا والفاعلين معلومين، إلا أنها تلعب دورًا مهمًّا بالنسبة للجرائم الغامضة حيث الأدلة غير ظاهرة وخاصة المباشرة منها، ولكي لا يتخبط المحقق في التحقيق ويكون نهبًا للإيحاءات عليه أن يضع لكل جريمة يحقق فيها خطة مدروسة يستطيع عن طريقها معرفة الحقيقة.

٤ ـ الترجيح:

يميل المحقق أحيانًا إلى الأخذ بالفرض الراجح على أنه الحقيقة، وقد لا تكون الحقيقة إلا في أبعد الفروض، فعلى المحقق إذن أن يتعمق في دراسة جميع الفروض وألا يهمل أي واحد منها مهما بدا تافهًا.

٥ ـ التجربة المؤلمة:

إن التجارب والخبرات المؤلمة التي يمر بها المحقق سواء الحديثة منها أم القديمة تؤثر على التحقيق الذي يجريه وتحرفه عن جادة الصواب. فقد وجد أن أحد المحققين كان يستعمل قسوة متناهية خلال استجوابه للمتهمين في جرائم الدهس، وبعد التعمق في دراسة حالته غير الاعتيادية هذه وجد بأنه قد مر بتجربة مؤلمة تركت أثرًا عميقًا في نفسه فقد توفي ابنه نتيجة لحادث دهس [1].

٦ ـ الإندماج:

يحصل في بعض الأحوال أن يدمج المحقق شخصيته في شخصية التهم أو في

---

(١) وقد لوحظ بأن أحد المحققين كان يلجأ إلى تعذيب المتهمين في قضايا الاعتداء على شرف الفتيات لحملهم على الاعتراف، وكان همه محصورًا فقط على الحصول على الاعتراف. وبعد دراسة سلوكه ظهر بأنه قد وقع في حب فتاة فخطبها وعقد عليها الزواج ولكنه فسخ بعد أن ظهر له بأنها قد اعتدي على شرفها بالقوة، فتركت هذه التجربة صدمة شديدة في نفسه، ترى ما ذنب المتهم البريء الذي يقع تحت رحمة هذا المحقق المريض؟إنها لمأساة حقًّا.

Scanned by CamScanner

شخصية المجني عليه، فيشاطره مشاعره وعواطفه، وغني عن البيان أن تقمصه أو اندماجه في شخصية المتهم يدفعه لأن يتساهل معه في التحقيق وذلك رأفة به ، وبالعكس فإن اندماجه في شخصية المجني عليه يدفعه إلى القسوة والتشدد في التحقيق. إن هذه العملية لا شعورية، بمعنى أن المحقق لا يقصر أن ينحاز إلى هذا الجانب أو ذاك، ولكنه يندفع إلى أحد الجانبين دون أن يدري .

إن أعمال الإنسان ليست كلها صادرة بإرادته وإنما كثير ما يأتي أعمالاً توحيها إليه دوافع نفسية لا دخل لإرداته فيها.

وعلى كل حال إذا وجد المحقق نفسه يميل إلى أحد طرفي الحادث سواء كان جانيًا أم مجنيًا عليه، وجب عليه أن يترك التحقيق لغيره [1].

* * *

(١) صادف أن قبض على أحد النشالين من الأحداث وهو متلبس بالجريمة وخلال استجواب المحقق له وجد في نفسه عطفًا شديدًا عليه، وبالفعل أخذ ينصحه بأن يترك الجريمة ويسلك طريق الحياة الشريفة، ويبين بأن (هذه النصيحة أبوية خالصة) وخلال ذكره هذه العبارة انتبه المحقق وعلم أن سر هذا العطف هو شبه المتهم الحدث بابنه الكبير في معظم ملامحه، فاضطر أن يتوقف عن استجوابه ويكلف زميلاً له لكي يقوم به، حتى يتفادى تأثير العاطفة الأبوية التي قد تؤثر على سير التحقيق، انظر أحمد محمد خليفة،المرجع السابق ص ٨٩ ـ ٩٠.

Scanned by CamScanner

الباب الثاني

الأدلة الجزائية

الأدلة الجزائية هي وسيلة المحقق في
إثبات إدانة المتهم أو براءته من التهمة.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner